

---

## The Role of Context in Directing Quranic Readings: Analyzing Discourse Transition and Its Impact on Interpretation

دور السياق في توجيه قراءات القرآن الكريم: تحليل انتقال الخطاب وتأثيره على التفسير

*Ali Ali Hussein Ghazwan*

Faculty of Usuluddin, Universiti Islam Sultan Sharif Ali, Brunei Darussalam

[ali.hussein@unissa.edu.bn](mailto:ali.hussein@unissa.edu.bn)

Received November 23, 2024; Revised January 12, 2025; Accepted February 18, 2025

### Abstract

**Objective:** The objective of this study is to explore the role of context in directing Quranic readings, particularly in light of the transition of verbal discourse, by linking verbs to their preceding and succeeding contexts. It aims to define context, explain the guidance of Quranic readings, and analyze discourse transition. **Theoretical Framework:** This research is based on the hermeneutics of the Qur'an, particularly the contextual approach in interpretation. This theory emphasizes that the meaning of the Qur'an depends not only on the text but also on its linguistic and historical context. **Literature Review:** The literature review discusses previous studies on contextual interpretation in Quranic readings, highlighting the contributions of classical and modern scholars. **Methods:** The study employs a descriptive, analytical, and contextual approach as its methodology, analyzing different types of verbal discourse transitions in Quranic readings and providing examples that illustrate their contextual significance. **Results:** The results indicate that scholars guiding Quranic readings prioritize interpretations that align with the context, considering them stronger and more appropriate than alternative readings. Context is categorized into internal linguistic context and external situational context, both of which play a comprehensive role in directing Quranic readings. **Implications:** This research enriches the methodology of Qur'anic interpretation by emphasizing the role of context in understanding discourse transitions, helping scholars, religious leaders, and society interpret verses more accurately and relevantly. **Novelty:** The novelty of this study lies in its focused exploration of the role of discourse transition in contextualizing Quranic readings, an area that has not been extensively examined in previous research.

**Keywords:** quranic reading context, reading guidance, discourse transition, quranic interpretation, contextual analysis.

## الملخص

**الهدف:** من هذه الدراسة هو استكشاف دور السياق في توجيه القراءات القرآنية، لا سيما في ظل انتقال الخطاب الفعلي، من خلال ربط الأفعال بسياقها القبلي والبعدي. كما تهدف إلى تعريف السياق، وبيان توجيه القراءات القرآنية، وتحليل الانتقال الخطابي. **الإطار النظري:** يعتمد هذا البحث على علم التأويل (الهرمنيوطيقا) في القرآن الكريم، لا سيما النهج السياقي في التفسير. ويؤكد هذا النهج أن معنى القرآن لا يعتمد فقط على النص، بل أيضاً على سياقه اللغوي والتاريخي. **الدراسة السابقة:** تتناول مراجعة الأدبيات الدراسات السابقة حول التفسير السياقي للقراءات القرآنية، مسلطاً الضوء على إسهامات العلماء القدامى والمحدثين، كما تستعرض الأسس النظرية لانتقال الخطاب ودوره في تشكيل معاني القرآن الكريم. **المنهج:** تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي السياقي كمنهجية لها، حيث تقوم بتحليل أنواع انتقال الخطاب الفعلي في توجيه القراءات القرآنية، مع تقديم أمثلة توضح دلالة السياق في هذا الانتقال بصورة مختلفة. **النتائج:** تشير النتائج إلى أن موجّهي القراءات يُقدّمون في اختيارهم للوجه الراجح ما كان متسقاً مع السياق، معتبرين أنه أولى بالاختيار من غيره. وينقسم السياق إلى سياق لغوي داخلي وسياق مقامي خارجي، وكلاهما يؤدي دوراً شاملاً في توجيه القراءات القرآنية. **التطبيقات:** يُثري هذا البحث منهجية تفسير القرآن الكريم من خلال التأكيد على دور السياق في فهم انتقالات الخطاب، مما يساعد العلماء والقادة الدينيين والمجتمع على تفسير الآيات بدقة وارتباط أكبر. **الأصالة:** تكمن الجِدَّة في هذه الدراسة في تركيزها على دور انتقال الخطاب في توجيه القراءات القرآنية ضمن السياق، وهو موضوع لم يُتناوَل بشكل معمق في الدراسات السابقة. ومن خلال تسليط الضوء على تأثير السياقين الداخلي والخارجي، تقدم الدراسة منظوراً جديداً حول كيفية توجيه القراءات القرآنية من خلال تحولات الخطاب.

**الكلمات المفتاحية:** سياق قراءات القرآن، توجيه القراءة، انتقال الخطاب، تفسير القرآن، التحليل السياقي

## المقدمة

فإن كتاب الله تعالى -المصدر الأول في التشريع الإسلامي- يتميز بجزالة ألفاظه، ووضوح أسلوبه، وتناسق تراكيبه وآياته ومقاطعته وسوره، وليس في ذلك غرابة فقد وصفه الله بقوله: **لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** [فصلت: 42][1]. وعلم القراءات علم غزير الفائدة، كثير الثمرة؛ فهو متصلٌ بكتاب الله تعالى اتصالاً مباشراً، لا يخرج منه قارئه، أو الباحث فيه خالي الوفاض، بل يخرج مباركاً في علمه، متوسعاً في مداركه وتأملاته. ولما كانت علوم القراءات متنوعةً، فمنها ما يدرس رسم الحروف والكلمات القرآنية وضبطها، ومنها ما يبين كيفية الأداء الصوتي للحروف منفردة ومجمعة، ويكشف عن

صفتها الأصلية والعارضة، ويميز بين المقطوع والموصول والوقف والابتداء، ومنها ما يوضح فواصل الآيات وخواتمها وعدد آياتها عند المصاحف المعتمدة عند علماء العدد، ومنها ما ينتقل إلى شرح الخلافات القرائية، مع عزو تلك الخلافات-أصولاً وفرشاً- إلى قرائها ورواتها، ومنها ما يدرس التوجيه القرائي لتلك القراءات بكافة مستوياتها اللغوية [2].

ولقد تعددت أنواع توجيه القراءات؛ فمنها ما يتصل بالدلالات والمعاني، ومنها ما يجلي القواعد اللغوية والنحوية، ومنها ما يعطي دليلاً على محافظة القراءات القرآنية على اللغات واللهجات العربية، ومنها ما يكشف عن تنوع دلالة اختلاف القراءات بتنوع سياقاتها. وبيان معاني القراءات القرآنية، يتطلب من الدارس دراسة النص القرآني كله دراسة نصية سياقية؛ فهو نص خالد يتسم بالقوة والنصاعة والاتصال والترابط، وعدم قبوله للتفكيك والاجتزاء [3].

إن مما يعين على فهم توجيه القراءات وتبيين مقاصده وآثاره أن يُدرس دراسة سياقية؛ لتتضح معاني القراءات ودلالاتها، وتوضع في سياقاتها المناسبة لوجود نظائرها في القرآن كله، أو في سورة، أو في مقاطعه، أو في آياته وحمله. وكل ذلك يشير إلى الترابط والاتصال الذي يتصف به القرآن الكريم في سورة وأجزائه بعضها ببعض، وصدق الله القائل: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَحْتِلَافًا كَثِيرًا [النساء: 82] [4]. والناظر في الدراسات السياقية في العلوم المختلفة يجدها إما أن تكفي بالسياق الداخلي (اللغوي)، أو الخارجي (المقامي)، وإما أن تشملهما معاً. وكل ذلك مُعينٌ للقارئ والباحث على السواء. وليس علم توجيه القراءات مستغنياً عن الإفادة من السياق؛ إذ ليس بدعاً من العلوم الإسلامية واللغوية في جعله السياق أساساً من أسس التوجيه، فللسياق دلالاته في إيضاح معاني القراءات إيضاحاً يظهر فيها التنوع والتعدد الدلالي للقراءات، ويكون من آثاره اختيار التوجيه الملائم للسياق [5].

إن من الموضوعات المهمة في توجيه القراءات القرآنية سياقياً موضوع الانتقال الخطابي الفعلي؛ وقد برز هذا الموضوع جلياً في الأفعال الماضية والمضارعة المختلفة في قراءتها بتعدد الخطاب فيها، وكان من صوره الانتقال الخطابي من الغيبة إلى الخطاب، ومن التكلم بالإنفراد إلى التكلم بالتعظيم، ومن التكلم إلى الغائب، ومن التكلم إلى الخطاب [6].

وقد وُجِدَتْ شواهد قرآنية قرائية تكشف عن دلالة السياق في توجيه القراءات في ظل انتقال الخطاب الفعلي؛ ولذا فقد اختير عنوان البحث ليكون عن: (دور السياق في توجيه قراءات القرآن الكريم: تحليل انتقال الخطاب وتأثيره على التفسير).

### مشكلة البحث

تتضح إشكالية البحث من خلال السؤال الرئيس وهو:

ما أثر دلالة السياق في توجيه القراءات في ظل الانتقال الخطابي الفعلي؟

ويتفرع من هذا السؤال ثلاثة أسئلة وهي:

ما الأنواع التي يظهر فيها الخطاب الفعلي في القراءات القرآنية؟

ما هي المصطلحات التي استعملها موجهو القراءات القرآنية لتبيين دور السياق في توجيه القراءات بعامه وفي انتقال الخطاب الفعلي بخاصة؟

ما هي الدلالات التي يكشفها السياق في انتقال الخطاب الفعلي؟

أهمية البحث وسبب اختياره

تظهر أهمية البحث في استقرائه لمبحث من المباحث اللغوية التي تعطي لتوجيه القراءات لوناً إضافياً في إظهار معاني القراءات ودلالاتها بارتباطها بسياقها القبلي والبعدي. وأن السياق في القرآن الكريم والقراءات سياقاً متناسقاً؛ ففيهما سياق الآية، وسياق المقطع، وسياق السورة، وسياق القرآن كاملاً. وكلها سياقات متكاملة، تعطي دلالاتها المتنوعة؛ بتنوع السياق الذي ترد فيه. وسبب اختياره للبحث لتخصيصه الانتقال الخطاب الفعلي، وكذا بيان دلالة السياق فيه لتظهر القراءات متعددة في الألفاظ متكاملة في المعاني [7].

## أهداف البحث

يسعى هذا البحث لتحقيق الأهداف التالية:

- 1- يُعرّف بالمصطلحات الواردة في البحث (دلالة السياق، توجيه القراءات، انتقال الخطاب الفعلي).
- 2- يذكر مصطلحات الأقدمين في السياق والانتقال الخطابي.
- 3- يستقرئ أنواع انتقال الخطاب الفعلي في توجيه القراءات القرآنية.
- 4- يستدل بنماذج قرائية يتبين من خلالها دلالة السياق في الانتقال الخطابي الفعلي بصوره المختلفة
- 5- يكشف عن دلالة السياق في توجيه القراءات في ظل الانتقال الخطابي الفعلي.

## منهج البحث

يتخذ البحث المنهج الوصفي التحليلي السياقي؛ وذلك بوصف توجيه القراءات وتحليلها؛ وذلك بالاستعانة بما جاء في كتبهم في وصف السياق باسمه، أو بما يشير إليه، وذلك من خلال المواضع التي يستدل بها لانتقال الخطاب الفعلي، من خلال المنهج السياقي بنوعيه؛ وذلك بهدف إظهار دلالة السياق فيه.

## الدراسات السابقة

كتب الباحثون كثيراً في موضوعات مخصصة لتوجيه القراءات بمستوياتها اللغوية المختلفة. وكتبوا في السياق في كتب التفسير، لكنهم لم يخصصوا دراسة لدلالة السياق في توجيه القراءات في ظل الانتقال الفعلي.

المبحث الأول: تعريف بدلالة السياق، ومصطلحات الأقدمين في السياق، وتوجيه القراءات، والانتقال الخطابي، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف بدلالة السياق

عرّف المعجميون السياق بأنه من قول العرب: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساقٍ واحدٍ، أي بعضهم على إثر بعض، ليس بينهم جاريةٌ وساق الماشية يسوقها سوقاً وسباقاً، فهو سائقٌ وسوّاقٌ، شدد للمبالغة. قال الراجز:

قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطْمٌ      ليس براعي إبلٍ ولا غنمٍ [8].

ومن المجاز ساق الله إليه خيراً. وساق إليها المهر. وساق الرّيح السحاب. وأردت هذه الدار بثمان فساقها الله إليك بلا ثمن. والمختصر يسوق سياقاً. وفلانٌ في ساقِ العسكر في آخره،... وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلامُ مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه على سرده. وساق الماشية من باب قال وقام، فهو (سائق) و (سوّاق) شُدِّد للمبالغة، و(استاقها فانساق). و(ساق) إلى امرأته صداقها. و(السياق) نزع الروح، و(السويق) معروفٌ [9].

وفي لسان العرب "سوق السوق معروف. ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً، وهو سائقٌ وسوّاقٌ... وقوله تعالى: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ [ق: 21]، قيل في التفسير سائقٌ يسوقها إلى محشرها [10].

يفاد من المعاجم اللغوية أنّ السياق يعني سَوِّقُ الكلام، والفعال إلى غاياتها؛ وذلك من خلال استيق الألفاظ في الكلام، بتتابع واتصال، وعدم انفصال. ويعرف السياق في المعاجم الحديثة بأنه "بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه." (البلعبيكي 1990م)، ويعرف أيضاً بأنه "علاقة البناء الكلي للنص بأي جزء من أجزائه." (الخولي 1982م). وتشير هذه المعاجم إلى تضافر سياقات عديدة في النص تساهم في صياغة الرسالة اللغوية: وهي السياقات النحوية، والبلاغية، والصوتية [11].

وجاء في تعريف السياق عند بعض الباحثين بأنه "التركيب، أو السياق الذي ترد فيه الكلمة، ويسهم في تحديد المعنى المتصور لها [12]. أو أنه "علاقة الكلمة التي وقع فيها المشترك اللفظي مع ما قبلها، وما بعدها، من كلمات الجملة، وذلك لأن الكلمات ليست أجساماً بلا أرواح، ولكنها حية متحركة، تعطي إشعاعاتٍ معينةً للكلمات التي وقع فيها الاشتراك، وهي المفتاح الذي يفتح المغلق منها، أو المصباح الذي يهتدي بضوئه على تحديد معاني الكلمة المشتركة [13].

المطلب الثاني: مصطلحات الأقدمين في السياق

كشفت كتب التراث العربي عن مصطلحاتٍ سياقيةٍ، ذكرها علماء العرب الأقدمون في كتبهم؛ وذلك من خلال إشاراتهم، إلى إحكام الكلام الملفوظ، والمقروء، بإجرائه في مُشَاكِلِه ومُنَاسِبِه ومُطَابِقٍ [14]. فمن

الألفاظ التي ارتبط ذكرها بالسياق قديماً -وأفاد منها المحدثون- النظم، ويُعدُّ عبد القاهر الجرجاني أول من نظر نظرة شاملة إلى علمي النحو والمعاني فأرى أنه لا يمكن لأحدهما أن يكون بمعزل عن الآخر، فكان النظم هو الجامع بين العلمين، يقول في ذلك: "أما "نظم الكَلِم" فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تنفي في نظمها آثار المعاني، وثرت بها على حسب ترتب المعاني في النفس. فهو إذن نظمٌ يعتبرُ فيه حال المنظوم بعضه مع بعضٍ، وليس هو "النظم" الذي معناه ضمُّ الشيء إلى الشيء كيف جاء وافق [15]. ولذلك كان عندهم نظيراً للنسخ والصياغة والبناء والوشى والتجبير وما أشبه ذلك، مما يُوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعضٍ، حتى يكون لوضع كلِّ حيثُ وضع، علةٌ تقتضي كونه هناك، وحتى لو وُضِع في مكان غيره لم يصلح النطق، بل أن تناسقت دلالتها. وتلاققت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل [16].

واستعمل العرب مصطلح المناسبة؛ لإثبات اتصال الكلام في سياق واحد؛ فيذكر الزركشي أنواع ارتباط الآي بعضها ببعضٍ، فيقول: "ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يُظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعضه ببعض، وعمّ تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير أو الاعتراض والتشديد، وهذا القسم لا كلام فيه [17]. والمشكلة من المصطلحات السياقية التي استعملها الأقدمون؛ لتشير إلى سياق القول؛ فقد جعل الباقولي الباب التاسع عشر، لما جاء في التنزيل من ازدواج الكلام، والمطابقة، والمشكلة، وغير ذلك، وهذا بابٌ واسعٌ؛ مرة يشاكل اللفظ باللفظ، والمعنى بالمعنى، وباللفظ دون المعنى، وبالمعنى دون اللفظ [18].

ومن المصطلحات التي تفيد معنى السياق مصطلح الوجوه والنظائر، فقد أفاد منه الأقدمون في البحث في الألفاظ المتكررة المتعددة المعنى، فألفت فيه المؤلفات؛ منها كتاب (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)، لهارون بن موسى الأعرور [19].

### المطلب الثالث: تعريف بتوجيه القراءات

يُعرف اللغويون الوجه فيقولون: "فالوجه وجه الإنسان وغيره معروف، وجمعه وجوه وأوجه، قال الله تعالى: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ [البقرة: 144].

والوجه: مستقبل كل شيء، والوجه أيضاً عبارة عن ذات الشيء، قال الله تعالى: وَجْهٌ رَبِّكَ [الرحمن: 27]، وقال تعالى: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۗ [القصص: 88] ... والوجه الضرب من الأمر. يقال: هو ينقسم على وجوه، أي: ضروب. ووجه كل شيء أفضله. يقال: هذا وجه القوم؛ ومنه قولهم: يا وجه العرب. وهذا وجه الرأي ونحو ذلك [20].

ويعرفون التوجيه بأنه "إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين، أو هو إيراد الكلام على وجه يندفع به كلام الخصم، وقيل عبارة على وجه ينافي كلام الخصم" [21]. وعرف الفارابي التوجيه بأنه "يوجه المناظر كلامه

منعاً أو نقضاً أو معارضةً إلى خصمه" [22]. وإذا أضيف التوجيه إلى القراءات فيراد به الكشف عن معاني وعلل القراءات اللغوية، ودرء ما يظهر ضعفه من القراءات بأوجه وحجج لغوية.

#### المطلب الرابع: تعريف الانتقال الخطابي

يؤخذ لفظ الانتقال في اللغة من (نقل)، والنقل: تحويل شيء إلى موضع. والثقل: انتقال القوم من موضع إلى موضع [23]. ولفظ الخطاب مأخوذ من (خ ط ب)، والخطب: الشأن والأمر صغراً أو عظماً، والأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، ويقال: خاطب مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان، والخطبة ما يقوله الخطيب، وهي مثل الرسالة التي لها أول وآخر [24]. ويعرف الخطاب في الاصطلاح بأنه "إيصال المعنى إلى السامع عن طريق الكلام، ويحدده آخر" بالكلام المنطوق عندما يتجاوز الجملة الواحدة طويلاً، ويضيف الكفوي في (كلياته) عنصراً جديداً إلى التعريف وهو الجانب النفسي فيقول: "إنه الكلام اللفظي أو النفسي الموجه نحو الغير للإفهام [25]."

ويراد بالخطاب الفعلي: الخطاب في الأفعال الثلاثة (الماضي والمضارع والأمر) بتحديد المخاطبين، الذي يختلف تحديدهم باختلاف فهم السياق القرآني القرائي. ويقصد بانتقال الخطاب الفعلي بمعناه التطبيقي في القرآن الكريم عامة، وفي القراءات القرآنية بخاصة تحوله من أسلوب إلى أسلوب آخر، وذلك بالنظر إلى حكمه وفوائده ومعانيه من خلال السياق، ويكون هذا الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب، أو من المفرد إلى المتكلم المعظم نفسه، أو من المتكلم إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم.

المبحث الثاني قراءة في مصطلح الانتقال الخطابي عند الأقدمين، ودلالة السياق في الانتقال الخطابي بين الخطاب والغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب، وفيه ثلاثة مطالب:

#### المطلب الأول قراءة في مصطلحات الانتقال الخطابي عند الأقدمين

لقد درس البلاغيون - في كتبهم دراسة مستفيضة - انتقال الخطاب الفعلي تحت مسمى الالتفات؛ فأوضحوا معناه، وصوره، ودلالاته، وألفت في ذلك مؤلفات عدة. فكان الانتقال من الغيبة إلى الخطاب والعكس، وغير ذلك من صور الانتقال الخطابي في الأفعال بدلالة الضمائر المبدوءة بها؛ وهي: ياء الغيبة، وتاء الخطاب، ونون المتكلم سواء أكان المخاطب مفرداً، أم معظماً لنفسه [26].

لقد اختلف الأقدمون في تسمياتهم للانتقال الخطابي بمصطلحات مختلفة، لكنها تؤدي المؤدى نفسه؛ فاستخدم المبرد مصطلح الصرف، ليدل به على الالتفات، يقول في الكامل: "قوله تعالى: حتى إذا كُنْتُمْ فِي أَلْقُلِّكُمْ وَجَرَيْنَ بِهَيْمٍ بَرِيحٍ طَبَّيَّةٍ [يونس: 22]، كانت المخاطبة للأمة، ثم صرفت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - إخباراً عنهم [27]."

وينقل ابن رشيق القيرواني تسميتين للالتفات، فيقول: "وهو الاعتراض عند قوم، وسمّاه آخرون الاستدراك، حكاه قدامة، وسبيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي

به، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول، كقول كثير: **ولو أن الباخلين -وأنت منهم- رأوا تعلموا منك المطالا.** فقوله: (وأنت منهم) اعتراض كلام في كلام، قال ذلك ابن المعتز، وجعله باباً على جدته بعد باب الالتفات، وسائر الناس يجمع بينهما [28]. ويبين ابن الأثير أهمية الاعتراض، فيقول: "والاعتراض إذا كان هكذا كسا الحديث لطفاً إن كان غزلاً، وكساه أبهة وجلالاً إن كان مديحاً، أو ما يجري مجراه من أساليب الكلام، وإن كان هجاءً كساه تأكيداً وإثباتاً، كقول كثير .

ويميل يحيى بن حمزة إلى مصطلح العدول مبيناً سبب تفضيله لهذا المصطلح؛ فيقول: "اعلم أن الالتفات من أجل علوم البلاغة، وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها، وسمي بذلك أخذاً له من التفات الإنسان يميناً وشمالاً، فتارة يقبل بوجهه وتارة كذا وتارة كذا، فهكذا حال هذا النوع من علم المعاني، فإنه من الكلام ينتقل من صيغة إلى صيغة، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى خطاب إلى غير ذلك من أنواع الالتفات، كما سنوضحه، وقد يلقب بشجاعة العربية، والسبب في تلقيبه بذلك هو أن الشجاعة هي الإقدام، والرجل إذا كان شجاعاً فإنه يرد الموارد الصعبة، ويقتحم الورط العظيمة، حيث لا يمكن يردها غيره، ولا يقتحمها سواه. ولا شك أن الالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية. ومعناه في مصطلح علماء البلاغة هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وهذا أحسن من قولنا العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة؛ لأن الأول يعم سائر الالتفات كلها، والحد الثاني إنما هو مقصورٌ على الغيبة والخطاب لا غير، ولا شك أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع، وقد يكون على عكس ذلك، فلهذا كان الحد الأول هو أقوى دون غيره [29].

إن العدول في السياق" هو خروج يحدد زخماً دلاليّاً في التنقل في الخطاب من أصل إلى أصل. أو هو ظهور عنصر غير متوقع من العبارات والجمل ضمن شبكة العلاقات اللغوية والبيانية والنفسية المرتبطة في إطار نص ما. إن هذا العدول لا يعني أن يكون النص المعدول به مفارقاً للسياق العام الذي جاء به، وإنما هو منبّهٌ بلاغيٌّ يستدعي التأني والتأمل وإعمال الفكر لمعرفة الهدف منه، وظاهرة أسلوبية تتصل في النص، وتنفصل في الأداء البياني، فهو مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً في علم الدلالة [30].

ويعدُّ القرطبي الالتفات تلويحاً خطابياً، فيقول في تفسيره لقوله تعالى: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة: 5]** بأنه رجع من الغيبة إلى الخطاب على التلويح؛ لأن من أول السورة إلى هاهنا خبرٌ عن الله تعالى .

### المطلب الثاني دلالة السياق في الانتقال الخطابي من الخطاب إلى الغيبة

كثيرة هي الأفعال التي اختلف فيها القراء بين قراءتها ببناء الخطاب وبقاء الغيب؛ ويدل السياق على هذا الانتقال الخطابي من الخطاب إلى الغيبة، وهذه أربعة نماذج لهذا الانتقال الخطابي:

**أولها: الفعل المضارع (تعلمون) من قوله تعالى: وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [البقرة: 74]**، فقرأه ابن كثير ببناء الغيب، وقرأ غيره ببناء الخطاب [31].

لقد وضع أبو علي الفارسي قاعدة لقراءة الخطاب والغيبة، يراعى فيها السياق القبلي، وجواز القراءة

بالغيبة، وإن سُبقت بتاء الخطاب، والخطاب وإن سبقت بياء الغيبة؛ فيقول: "قول في جملة ذلك أن ما كان قبله خطاب جعل بالتاء، ليكون الخطاب معطوفاً على خطاب مثله كقوله: **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ [البقرة: 74]**، وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٧٤ ، فالتاء هنا حسن؛ لأن المتقدم خطاب. ولو كان **وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٧٤** على لفظ الغيبة. أي: وما الله بغافل عما يفعل هؤلاء الذين اقتصصنا عليكم قصصهم أيها المسلمون، لكان حسناً. وإن كان الذي قبله غيبة حسن أن يجعل على لفظ الغيبة؛ ليعطف ما للغيبة على ما مثله، كما عطف ما للخطاب على مثله **[32]**.

ويجوز فيما كان قبله لفظ غيبة الخطاب. ووجه ذلك أن تجمع بين الغيبة والخطاب، فتغلب الخطاب على الغيبة؛ لأن الغيبة يغلب عليها الخطاب فيصير كتغليب المذكر على المؤنث، ألا ترى أنهم قد بدأوا بالخطاب على الغيبة في باب الضمير، وهو موضع يرد فيه كثير من الأشياء إلى أصولها . ويأتي توجيه مكى لقراءة الغيب لابن كثير، وقراءة الخطاب لغيره من القراء على السياقين القبلي، ومستقصياً أفعال لغيبة والخطاب في سياق الآية ولحاقها، فيقول عن ذلك: "قوله: (وما الله بغافل عما تعملون) قرأه ابن كثير رده على قوله تعالى: **وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ [البقرة: 71]** **[31]**.

ورده أيضاً على ما بعده من قوله: **وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ [البقرة: 75]**، وقوله: **يُحْرِفُونَهُ [البقرة: 75]** وقوله: **وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٥ [البقرة: 75]**، فلما أتى ما قبله وما بعده على لفظ الغيبة، أجراه على ذلك، ولم يجره على قوله: **أَفْتَطَمَعُونَ [البقرة: 75]**؛ لأنه خطابٌ للمؤمنين (يعلمون) يراد به اليهود. وقرأه الباقر بالتاء ردوه على الخطاب الذي قبله، في قوله: **وَأُورِيكُمْ آيَاتِهِ [البقرة: 73]** وقوله تعالى: **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ [البقرة: 74]**، فجرى آخر الكلام على أوله، بالخطاب كله لليهود، وهو الاختيار؛ لأن عليه الجماعة، وهو اختيار أبي عبيد .

**ثانيها:** الفعلان المضارعان (ستغلبون، وتحشرون) من قول الله عز وجل: **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ [آل عمران: 12]**، قرأ حمزة والكسائي وخلف والأعمش، بياء الغيب، وقرأ غيرهم بتاء الخطاب **[33]**.

فتعلق القراءتين بالسياق شيء يذهب إليه أبو علي الفارسي؛ إذ يقول عن توجيه هاتين القراءتين: "ويدل على حسن التاء هنا والمخاطبة قوله تعالى: **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ [آل عمران: 81]**، والآية كلها على الخطاب، وكذلك قول من قرأ (ستغلبون). وللتاء على الباء مزية ما في الحسن؛ وهو أنه إذا قيل سيغلبون، فقد يمكن أن يكون المغلوبون والمحشورون من غير المخاطبين، وأنهم قوم آخرون، فإذا كان بالخطاب لم يجز أن يُظنَّ هذا **[34]**. وحجة من قرأ بالياء قوله تعالى: **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ [الأنفال: 38]**، وقوله تعالى: **قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يُعْفَرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ [الجاثية: 14]**، والدليل على حسن مجازهما جميعاً أنهم زعموا أن في حرف عبد الله (قل للذين

كفروا إن تنتهوا نغفر لكم). فأما قوله: **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصُرِهِم [النور: 30]**، فظاهره يُقَوِّي قول من قرأ بالياء. ألا ترى أنه قال: **يَعْضُوا**، ولم يقل: **غضوا**، فيكون الخطاب كقراءة من قرأ (ستغلبون)، وكذلك: **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصُرِهِنَّ [النور: 31]**.

ويذكر ابن زنجلة سياق الحال كسبيل من سبيل دراسة القراءة المختلف فيها دراسة سياقية؛ وذلك بذكر سبب النزول، فيقول عن قراءتي الخطاب والغيبة في قوله تعالى: (ستغلبون وتحشرون): "ويقوي الياء أن أهل التفسير تأولوا في ذلك أن النبي-صلى الله عليه وسلم- لما هزم المشركين يوم بدر، قال اليهود بعضهم لبعض: (هذا هو النبي الذي لا ترد له راية) فصدّقوا، فقال بعضهم: (لا تعجلوا بتصديقه حتى تكون وقعة أخرى)؛ فلما أصاب المسلمين يوم أحد ما أصابهم شكوا في ذلك وخالفوه، فأنزل الله قل يا محمد: (سيغلبون ويحشرون) [35].

**ثالثها:** الفعل المضارع (يقولون)، وقد جاء في موضعين في آيتين متتاليتين، من قوله تعالى: **قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ٤٢ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا [الإسراء: 42-43]**، وقد جاء ذكر الفعل (يقولون) مرتين في آيتين متتاليتين، فقرأ ابن كثير وحفص بياء الغيب في الفعلين، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالتاء في الفعلين، وقرأ الباقون بالتاء في الموضوع الأول والياء في الموضوع الثاني [36].

لقد اكتفى الزجاج بتوجيه قراءة الخطاب في الموضوع الأول، ولم يذكر الثاني؛ لوضوح دلالاته؛ فالمخاطبون هم من جعلوا لله آلهة، أما الموضوع الأول، فقد قال عنه: "من قرأ (كما تقولون) فعلى مخاطبة القائلين: **إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ٤٢ [الإسراء: 42]**؛ أي: لتقربوا إلى ذي العرش، كما قال: **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتِغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ [الإسراء: 57]**، وقال بعضهم: **إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ٤٢**، أي لكانوا مضادين له يطلبون الانفراد بالربوبية" [37]. ويرى البيضاوي أن قراءة الغيب في الموضوع الأول والثاني: (الكلام مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أن يخاطب به المشركين، والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم" (البيضاوي 1998م).

وحجج قراءة الغيبة والخطاب عند مكّي أنّ من قرأ (كما يقولون) بالياء أنه رده على لفظ الغيبة في قوله: **لِيَذْكُرُوا [الإسراء: 41]**، وقوله: **وَمَا يَزِيدُهُمْ [الإسراء: 41]**، فالمعنى: كما يقوله الكافرون. ومثله في الحجة من قرأ (عما يقولون) بالياء. وحجة من قرأ (كما تقولون) بالتاء أنه حمله على الخطاب، على معنى: قل لهم يا محمد لو كان معه آلهة كما تقولون، ثم قال سبحانه وتعالى: **عَمَّا يَقُولُونَ [الإسراء: 43]**، فجرى الكلام في الخطاب لهم على ذلك، ومن قرأه بالياء رجع إلى الغيب؛ لأنهم غيبٌ" [38].

**رابعها:** الفعل المضارع (لتغرق) من قوله تعالى: **قَالَ أَخْرَفَتْهَا لِتُغْرَقَ أَهْلَهَا [الكهف: 71]**، قرأه حمزة والكسائي وخلف، ووافقهم الأعمش (لتغرق) من قوله تعالى: **بفتح الياء والراء (ليغرق)، (أهلها) بالرفع.**

وقرأه الباقون بضم التاء وكسر الراء (لثغرِق)، و(أهلها) بالنصب . والقراءتان عند الطبري "قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، متفقتا المعنى وإن اختلفت ألفاظهما، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيبٌ. وإنما قلنا هما متفقتا المعنى؛ لأنه معلوم ان إنكار موسى على العالم خرق السفينة إنما كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها إذا حدث مثل ذلك الحدث فيها، فلا خفاء على أحد أن معنى ذلك قرأ بالتاء ونصب الأهل، أو بالياء ورفع الأهل" [39].

وإسناد الفعل مختلف في القراءتين، يقول ابن خالويه: "فالحجة لمن قرأه بالتاء مضمومة أنه جعله من خطاب موسى للخضر عليهما السلام، ونسب الفعل إليه. ودل بالتاء على حد المواجهة والحضور، ونصب (الأهل) بتعدي الفعل إليهم. والحجة لمن قرأه بالياء أنه جعل الفعل للأهل، فرفعه بالحديث عنهم" [40]. والإسناد قضية من القضايا السياقية التي اهتم بها موجهو القراءات القرآنية، وكان حظ أبي علي الفارسي منها وافراً، يقول عن توجيه القراءتين: "(لثغرِق) أولى؛ ليكون الفعل مسنداً إلى المخاطب، كما كان المعطوف عليه كذلك، ألا ترى أن المعطوف عليه (أخرقتها)، وكذلك المعطوف، وهذا يجيء على معنى الياء؛ لأنه إذا أغرقهم غرقوا، وما بعده أيضاً كذلك، وهو قوله: لَقَدْ جِئْتِ [الكهف: 71]. ويُعدُّ هذا الخطاب من جريان آخر الكلام على أوله عند مكِّي، على قراءة الخطاب، فيقول: "وحجة من قرا بالتاء أنه أجراه على الخطاب للخضر من موسى، فالمخاطب هو الفاعل، وتعدى فعله إلى (الأهل)، فنصبهم، وقوى ذلك أن قبله خطاباً بين موسى والخضر في قوله: (أخرقتها)، وما قبل ذلك، فجرى آخر الكلام على أوله في الخطاب، وأيضاً فإن الخارق للسفينة هو فاعل الغرق في المعنى، بإضافة الغرق إليه أولى من إضافته إلى المفعول، وهو الاختيار [41].

### المطلب الثالث دلالة السياق في الانتقال الخطابي من الغيبة إلى الخطاب

يأتي انتقال الخطاب الفعلي من الغيب إلى الخطاب، ويدل السياق على ذلك، والنماذج في القراءات كثيرة، وهذه أربعة نماذج لهذا الانتقال الخطابي:

**أولها:** الفعل المضارع (يعملون) من قوله تعالى: وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ [البقرة: 96]، قرأه يعقوب بتاء الخطاب، وقرأه الباقون بالغيب . إن قراءة جمهور القراء بالغيبة؛ لأن ما سبقها من سياق الآية جاء بلفظ الغيبة؛ فلفظ (الناس) يشمل جنس الناس جميعاً، فهو للفظ يدل على العموم، ويدل على الغيبة هنا كونه لم يخص بـخطاب مباشر كالنداء، وفي الآية نفسها جاء ت الألفاظ التالية بالغيبة، يقول تعالى: وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَ أُنزِلَتْ آيَاتُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَّهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ [البقرة: 96] ، وهي: وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَ أُنزِلَتْ آيَاتُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَّهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ ، فجاءت قراءة القراء متسقة مع كل هذه الألفاظ والتراكيب [42].

وأما قراءة الخطاب فإن أول لفظ في الآية كان خطاباً وَلَتَجِدَنَّهم [البقرة: 96]، والمخاطب هنا هو

الرسول- صلى الله عليه وسلم-، ثم تجيء الآية الآتية بالخطاب للنبي- صلى الله عليه وسلم-، وهي قوله تعالى: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ [البقرة: 97]، وفي الآية الأخرى يقول الله تعالى: وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ [البقرة: 99]، فقراءة الخطاب في (يعملون) متسقة مع سياق الآيتين الداليتين على الخطاب مع السياق القبلي في (ولتجدنهم) فتتفق القراءة مع السياق القبلي والبعدي [43].  
ثانيها: الفعل المضارع (يرى) من قوله تعالى: وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا [البقرة: 165]. فقرأه نافع، وابن عامر، ويعقوب بناء الخطاب، والباقون بياء الغيبة. يُوجِّه ابن خالويه قراءة في الخطاب والغيبة، ببيان المعنيين في القراءة، فيقول: " فالحجة لمن قرأ بالبناء أنه أراد ولو ترى يا محمد الذين ظلموا إذ عاينوا العذاب لرحمتهم. والحجة لمن قرأ بالياء أنه جعل الفعل لهم ومعناه: ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله. وقد يراد الخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية من الأمة [44].  
وقراءة الخطاب عند أبي علي، المخاطب بها - صلى الله عليه وسلم-، وقد جاء على مثل هذا الخطاب الكثير من الآيات القرآنية، ولم يقصد بمخاطبة النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه لم يعلم، ولكن في قصده المخاطبة تنبيه لغيره. ويستشهد لهذا الاستنباط بما جاء في سياق آي القرآن الكريم؛ فقد قال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ أَفَنزَّلَهُ الْيَتِيمَاتُ [يونس: 38] ليخبر الناس عن جهلهم، وكما قال: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [البقرة: 107].

وقراءة الغيب لها ارتباط بسياقها القبلي؛ وذلك في قوله تعالى: وَمَنْ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ [البقرة: 165]. فالعموم في أول الآية جاء في سياق الغيب، ثم مجيء الفعلين المضارعين (يتخذ، يحبونهم) الدالين على الغيبة أيضاً، قد اتصل سياقهما بالفعل (يرى) المقروء لدى جمهور القراء بياء الغيب. والمعنى على هذه القراءة: ولو يرون أن القوة لله، أي: لو يعلمون؛ لأنهم لم يكونوا علموا قدر ما يعاينون من العذاب [45].

ثالثها: الفعل المضارع (يؤمنون) من قوله تعالى: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ [الأنعام: 109]، قرأه ابن عامر وحمة (لا يؤمنون)، وبناء الخطاب، وقرأه غيرهما بياء الغيب. وحجة من قرأ بالبناء على الخطاب (تؤمنون) وجود لفظ ومعنى المخاطبة، في الفعل (يشعركم) الذي اقترن بكاف الخطاب، وذلك في قوله تعالى: وَمَا يُشْعِرُكُمْ [الأنعام: 109]، والحجة لمن قرأ بالياء أنه أراد معنى الغيبة، ودليله أنه قد جاء بلفظ الغيب في لفظ (أفئدتهم) من قوله تعالى: وَنُقَلِّبُ أَقْدَانَهُمْ [الأنعام: 110].

وقد اختلف المفسرون في المقصودين بالخطاب؛ وذلك لاختلاف قراءة (أنها) بالكسر أو بالفتح؛ إذ قرأها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وخلف بالكسر قولاً واحداً، وشعبة بخلاف عنه؛ أي الفتح والكسر، وقرأها الباقر بالفتح. ووجه قراءة الكسر عند الطبري، أنه " خوطب بقوله: وَمَا يُشْعِرُكُمْ المشركون المقسمون بالله، لئن جاءتهم آية ليؤمنن، وانتهى الخبر عند قوله: وَمَا يُشْعِرُكُمْ، ثم استؤنف الحكم عليهم بأنهم لا

يؤمنون عند مجيئها استئنافاً مبتدأً [46].

ووجه قراءة الفتح، فقال: "بل ذلك خطاب من الله نبيه- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، قالوا وذلك أن الذين سألو رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن يأتي بآية، المؤمنون به. قالوا وإنما كان سبب مسألتهم إياه ذلك، أن المشركين حلفوا أن الآية إذا جاءت آمنوا واتبعوا رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فقال أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- سل يا رسول الله ربك ذلك! فسأل، فأنزل الله فيهم وفي مسألتهم إياه ذلك "قل" للمؤمنين بك يا محمد (إنما الآيات عند الله وما يشعركم)، أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين بالله، أنهم لا يؤمنون به، ففتحوا (الألف)، من (أن). ويستبعد الطبري أن يكون الخطاب في (يشعركم) للمشركين؛ ذلك أنه يعدُّ قراءة الخطاب في (يؤمنون) قراءة خارجة عما عليه قراءة الأمصار، وكفى بخلاف جميعهم لها دليلاً على ذهابها وشدوذها؛ ولذلك فقد جاء معنى الكلام لبيان صحة ما ذهب إليه، فيقول: "وإنما معنى الكلام: وما يدريكم أيها المؤمنون لعل الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون، فيعاجلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك ولا يؤخروا به [47].

إن الطبري يعدُّ القراءة التي خرجت عن إجماع القراءة شاذة، ومقصوده بذلك القلة، وليس الشذوذ المضاد للصحة كما هو معلوم لدى علماء القراءات.

وترجيح الطبري أن الخطاب للمؤمنين لاعتماده على قراءة الغيب في (يؤمنون)، وتركه لقراءة الخطاب، لا يستقيم مع السياق القبلي للآية؛ وذلك لأن بدء الآية موجة إلى غيب: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ [الأنعام: 109]. ويمكن فهم السياق ودلالته في الآية من خلال تقسيم الآية إلى ثلاثة وقوف؛ الأول: ينتهي عند لفظ (بها)، وفيه يظهر لفظ الغيبة في (أيمانهم) و(جاءتهم)، وفيه يظهر مقول المشركين وتحديدهم، والثاني: ينتهي عند الاسم العظيم (الله)، وفيه يظهر أمر الله لنبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- بالرد على قسمهم وتحديدهم، والثالث: عند نهاية الآية في لفظ (يؤمنون)، والذي قرئ بالغيب والخطاب. لقد جاء خلاف المفسرين في تحديد المخاطبين في نهاية الآية لاختلافهم في تحديد المخاطبين في وَمَا يُشْعِرُكُمْ. والقول الذي يمكن أن يكون صواباً لموافقته للسياق أن قراءة الغيب في لَا يُؤْمِنُونَ منسجمة مع السياق القبلي للآية وهو بدؤها، وأن المخاطبين هو النبي- صلى الله عليه وسلم- ومن معه من المؤمنين. وأما قراءة الخطاب فإن المخاطبين هم المشركون؛ وذلك لتوضيحها لهم أنهم لن يكونوا صادقين فيما أقسموا به، فقد سبقت منهم أقسامٌ قبل ذلك، فلم يكونوا صادقين في واحدٍ منها [48].

رابعها: الفعلان المضارعان (فليفرحوا) و(يجمعون) من قوله تعالى: قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ [يونس: 58]، قرأهما رويس بالخطاب (فلتفرحوا) (مما تجمعون)، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر بالغيب في (فليفرحوا) وبالخطاب في (تجمعون)، وقرأ الباقون بياء الغيب في الفعلين. ويرتبط

(يجمعون) بياء الغيب بالفعل لمضارع المجزوم بلام الأمر (فليفرحوا)، فالفعالان مرتبطان في سياقهما اللفظي والمعنوي بياء الغيب. ويبين الطبري فيما يكون الفرح المحمود المأمور به في الآية، فيقول: "فبالإسلام والقرآن الذي دعاهم إليه، فليفرح هؤلاء المشركون، لا بالمال الذي يجمعون، فإن الإسلام والقرآن خيرٌ من المال الذي يجمعون"، فيكون المشركون هم المعنيون بالفرح؛ كون الآية قد وجهت أنظارهم وأفكارهم إلى أن ينبغي أن يتجه الفرحون بفرحهم. ويعيد القيسي في تفسيره ما ذكره الطبري عن المقصودين بقراءة الغيب وسياق معنيهما [49].

لكن الفراء وأبا جعفر النحاس يتفقان في أن المقصودين بقراءة الخطاب (فليفرحوا) هم أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ويعلل أبو علي الفارسي قراءة الخطاب في (فليفرحوا) أنها لمماثلة الخطاب في بدء الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ [يونس: 57]، فتناسق الفعلان في الخطاب . ويحتج مكي لقراءة الخطاب في (تجمعون)، بما جاء في الآية من خطابات متعددة. ويجعل الخطاب في (فليفرحوا) متسقاً ومنسجماً مع تلك الخطابات، فيقول: "قرأه ابن عامر بناء الخطاب؛ لأن بعده خطاباً في قوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ [يونس: 59]، وقوله: فَجَعَلْتُم مِّنْهُ [يونس: 59]، وقوله: أَدْنَى لَّكُمْ [يونس: 59]، فجعل صدر الكلام على آخره، ليتفق اللفظ، فيكون الضمير في (تجمعون)، وفي (فليفرحوا) للكفار، على معنى: ولو كنتم مؤمنين لوجب أن تفرحوا بذلك، فهو خير مما تجمعون من دنياكم أيها الكفار" [50].

إن اختلاف مفسري القرآن الكريم وموجهي قراءاته في بيان الدلالة لقراءتي الخطاب والغيبة في الفعلين، أو في الأول دون الثاني، أو للكافرين في الفعلين، له سببه الذي يستحق التأمل والتفكير. ويبدو أن ما حملهم على هذا التعدد في آرائهم التفسيرية، هو بدء الآية السابقة بـ (يا أيها الناس)؛ فد (الناس) لفظٌ عامٌ يشمل المؤمنين والكافرين، ومن رأى أن (فليفرحوا) بالخطاب، أو (فليفرحوا) بالغيب يخص المؤمنين؛ فلوجود قرينة لفظية في الآية، وهي قوله تعالى: قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ والموعظة هي القرآن الكريم، كما قال المفسرون.

المبحث الثالث: دلالة السياق في الانتقال الخطابي بين المتكلم مفرداً ومعظماً، والمتكلم والغائب، والمتكلم والمخاطب، وفيه أربعة مطالب:

#### المطلب الأول: الانتقال الخطابي في التكلم من الأفراد إلى التعظيم

يتنوع الخطاب القرآني في الأسلوب القرآني نفسه؛ فبين أن يكون المتكلم سبحانه وتعالى متكلماً ومخاطباً، بأسلوب المتكلم المفرد، تأتي قراءة أخرى بأسلوب المتكلم المعظم نفسه، وهذه أربعة نماذج لهذا الانتقال الخطابي:

**أولها:** الثلاثة الأفعال الماضية المتتالية وهي: (أنجيتكم، واعدتكم، رزقتكم)، وذلك في قوله تعالى: يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكَ مِّنْ عَدُوِّكَمَّ وَوَعَدْنَاكَمَّ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمَّ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ٨٠ كُلُوا مِن طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ [طه: 80-81]، فقرأها حمزة والكسائي وخلف بناء المتكلم، وقرأ الباقيون بنون المتكلم

المعظم نفسه، غير أن أبا عمرو وأبا جعفر ويعقوب قرأوا (واعدناكم) بحذف الألف، (وعدناكم)، وقرأ الباقون بإثباتها. (النيسابوري 1981م، الواسطي 2004م، ابن الجزري 2010م).

لقد اجتمع في السياق القبلي من قوله تعالى: **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي [طه: 77]**، ما يتسق ويتطابق مع قراءة النون؛ وذلك في الفعل الماضي (أوحينا)، وأما قراءة التاء فقد جاءت قرينتان لفظيتان؛ الأولى: في لفظ (عبادي) المضاف إلى ياء المتكلم بصيغة الإفراد، وهو واقع في السياق القبلي، والثانية: تمثلت في لفظ (غضبي)، وهو واقع في السياق البعدي، وذلك في قوله تعالى: **وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي [طه: 81]**. فلم يكن اللفظان بصيغة المتكلم المعظم نفسه (عبادنا، غضبنا)، وهاتان القرينتان اللفظيتان تبيان انسجام واتساق السياقين القبلي والبعدي مع قراءة التكلم بصيغة الإفراد.

يقول مكّي في كتابيه الكشف والهداية عن هذا الاتساق السياقي بالتكلم بصيغة الإفراد: "فلما أتى ذلك على الإخبار عن الواحد، جرى ما قبله على ذلك في لفظ التوحيد، ليتسق الكلام على نظام واحد" (القيسي 1984م) واختار مكّي قراءة النون؛ لأنها الأكثر .

**ثانيها:** الفعل الماضي (أشهدتم) من قوله تعالى: **مَا أَشْهَدْتُمُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ [الكهف: 51]**. فقرأه أبو جعفر بنون المعظم لنفسه (أشهدناهم)، وقرأه الباقون ببناء المتكلم (أشهدتم) .

إن قراءة التكلم بالتاء جاءت متناسبة مع الفعل الماضي (كنت) ببناء المتكلم، فتكون القراءة بالتاء المضمومة قد اتسقت مع السياق بعدها من الآية نفسها. وأما قراءة التكلم بنون التعظيم فقد جاءت قرينة لفظية سياقية قبلية لتأييدها، وهي الفعل الماضي (قلنا) في السياق القبلي من الآية السابقة، قال تعالى: **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ [الكهف: 50]**. وكلا القراءتين متفقتان في المعنى، يقول الثعلبي بعد ذكره قراءة أبي جعفر: "ما أشهدناهم بالنون والألف على التعظيم، خلق السموات والأرض فأستعين بهم على خلقها، وأشاورهم وأوامرهم فيها، ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا: أنصاراً وأعواناً .

وإن تأمل القارئ لكتاب الله في سورة الكهف يجدها مليئة بالكلمات المقترنة بضمير المتكلم المعظم نفسه-جل جلاله، وتقدست أسماؤه- من لدن قوله تعالى في أول السورة: **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا [الكهف: 7-8]**.

ويظهر أن لقراءة التكلم بصيغة التعظيم وقّعها على القلوب؛ فهي تمزجها هزاً عنيفاً، وبخاصة عندما يكون موضوع الآيات في العقيدة والإيمان بالله تعالى المبدئ المعيد، الذي بعث فتية الكهف بعد نومهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً. وبين خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وإعادته اتصال في التذكير بقدرة الله في سياق القرآن الكريم كله، وذلك في أكثر من سورة من سور القرآن، ومما يستدل به على هذا الاتصال

قوله تعالى: خَلَقَ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [غافر: 57].  
ثالثها: الفعل الماضي (خلقتك)، من قوله تعالى: وَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا [مريم: 9]، قرأه  
القرءاء عدا حمزة والكسائي بتاء المتكلم، وقرأه حمزة والكسائي بالنون الدالة على التكلم والتعظيم (خلقتناك)  
[51].

لقد ردَّ ابن خالويه كلَّ قراءة من القراءتين على سياقها القبلي، أو البعدي؛ فقال: "فالحجة لمن قرأه بالتاء  
أنه ردَّه على قوله: هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ قَبْلُ [مريم: 9]، والحجة لمن قرأه بالنون والألف أنه  
حملة على قوله: وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا [مريم: 13]، وقد خلقناك، وكلاهما من إخبار الله تعالى عن نفسه".  
ويرى أبو منصور الأزهري أن خطايي التكلم-بالتاء والنون- متساويان؛ تعارف عليه الناس، وكلُّ صحيح،  
وقراءة التكلم بصيغة الجمع؛ لأنَّ جُلَّ ألفاظ التكلم في القرآن الكريم، جاءت على صيغة التعظيم، ولا  
عظيم أعظم من الله جل ذكره [52].

ويبين ابن زنجلة قراءة القراء غير حمزة والكسائي فقال: "وحتهم أنه قرب من قوله: قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ  
هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ [مريم: 9]، ولم يقل علينا، فيجب أن يكون الكلام بعده جارياً على لفظه؛ إذ هو في  
سياقه، ولم يعترض بينهما بكلام يوجب صرفه عن لفظ ما تقدمه إلى لفظ الجمع [53].

فحينئذ يتبين أن القرينة اللفظية لقراءة التكلم بالإنفراد هي لفظ (عليّ)، وقد جاءت في السياق القبلي.  
والقرينة اللفظية لقراءة التكلم بصيغة التعظيم جاءت في السياق البعدي وهي المتمثلة في لفظ (لُدُنَّا).

رابعها: الفعل الماضي (اخترتك) من قوله تعالى: وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى [طه: 13] قرأ القراء  
عدا حمزة بتاء المتكلم (اخترتك)، وتخفيف نون (أنا)، وقرأ حمزة بثقل نون (أنا)، وبنون المتكلم المعظم  
نفسه (اخترناك). ويؤيد قراءة القراء غير حمزة تناسبها مع الآية السابقة لها في السياق القبلي في قوله  
تعالى: إِيَّا أَنَا رَبُّكَ [طه: 12] وفي مصحف أبيّ "وأني اخترتك". وكذلك للسياق بعدي؛ إذ جاء في  
الآية ضمائر عدة للمتكلم، قال تعالى: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي [طه:  
14].

وأما قراءة حمزة فقد اختلفت عن سائر القراءات في الكلمتين: الأولى الضمير (أني) الانتقال من التكلم  
بصيغة الإفراد إلى صيغة التعظيم (أنا)، والتي أصلها من نونين (أنا)، وفي هذا دلالة على قوة التفخيم  
والتعظيم للمتكلم سبحانه وتعالى، والثانية: الانتقال من صيغة التكلم بالتاء المضمومة إلى التكلم بنون  
التعظيم.

وهذه القراءة لها اتصال بالسياق القبلي؛ فقد جاء الفعل الماضي (أنزلنا) من قوله تعالى: مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ  
الْقُرْآنَ لِتَشْقَى [طه: 2]. وهو امتنان على النبي-صلى الله عليه وسلم- بإنزال القرآن الكريم عليه للرحمة  
والنور والدليل إلى الجنة، "وتذكرة لمن يخشى إن الله أنزل كتابه وبعث رسوله رحمة رحم بها عباده ليتذكر  
ذاكر، وينتفع رجلٌ بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه".

فلما امتن الله على نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- امتن على نبيه موسى- عليه الصلاة والسلام- باختياره كليهما؛ "أي على جميع الناس من الموجودين في زمانه، وقد قيل: إن الله تعالى قال: يا موسى أتدري لم خصصتك بالتكليم من بين الناس؟ قال: لا، قال: لأني لم يتواضع إليّ أحدٌ تواضعك .

### المطلب الثاني: الانتقال الخطابي من المتكلم إلى الغائب

من التنوع في الخطاب القرآني أن يكون الخطاب من المتكلم على قراءة، وينتقل هذا الخطاب ليكون للغائب على قراءة أخرى. ولهذا النوع من الانتقال الخطابي في القرآن الكريم أمثلة كثيرة، وهذه نماذج أربعة لهذا الانتقال الخطابي:

**أولها:** الفعل المضارع (نفضل) من قوله تعالى: **وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ [الرعد: 4]**، فقرأه حمزة والكسائي وخلف بالياء، وقرأه الباقون بالنون . لقد أرجع الطبري قراءة الغيبة إلى (يغشي) من قوله تعالى: **يُغْشِي الْأَيْلَ النَّهَارَ [الرعد: 3]**، فتطابق اللفظان (يغشي) و(ويفضل) بياء الغيب في الفعلين. ومن قرأ بالنون فالمعنى: ونفضل نحن بعضها على بعض في الأكل .

ويوجه الزجاج القراءتين بما يقتضيه سياق الحال المعهود عند العرب في خطابهم، فقال: "ويفضل بعضها على بعض؛ لأنه جرى ذكر الله، فالمعنى: يفضل الله، وكذلك إذا قال: (ونفضل) بالنون؛ لأن الإخبار عن الله بلفظ الجماعة كما قال: **وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ [الحجر: 23]**، وهذا حُوطب به العرب؛ لأنهم يستعملون فيمن يُبَجِّلُونَهُ لفظ الجماعة" **[54]**.

ويرى مكّي أن قراءة الغيب تعود على الله تعالى؛ فهو فاعل الأفاعيل كلها، وقراءة النون على الإخبار من الله- جل ذكره- عن نفسه، وكلا القراءتين ترجع إلى معنى، والنون هو الاختيار؛ لأن الأكثر عليه . ويجعل البغوي قراءة الغيب عائدة على السياق القبلي، لكن ليس على (يغشي)، ولكن على الآية السابقة لها، وهي قوله تعالى: **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ [الرعد: 2]**، ويتفق مع توجيه الطبري لقراءة النون في تقدير الضمير المنفصل (نحن) فاعلاً للفعل (نفضل) . واستعمل البيضاوي لفظ (يطابق) ليدل على التوافق السياقي بين قراءة الغيبة، و(يدبر، ويفصل) .

**ثانيها:** الفعل المضارع (نقدر) من قوله تعالى: **فَطَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ [الأنبياء: 87]**، فقرأه يعقوب بياء الغيب المضمومة وفتح الدال في الفعل (نقدر)، وقرأه الباقون بالنون المفتوحة وكسر الدال . يبين الزجاج معنى قراءة الجمهور فيقول: "أي ظن أن لن نُقَدِّرَ عليه ما قَدَّرناه من كونه في بطن الحوت، ويُقَدِّرُ بمعنى يُقَدِّرُ" **[55]**.

وذكر مكّي القراءات في الفعل (نقدر)، ومعنى الفعل (التضييق)، المشترك بين تلك القراءات؛ فقال عطاء وكثير من العلماء: معناه فطن أن لن نضيق عليه الحبس من قوله تعالى: **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ [الرعد: 26]**، أي: يُضَيِّقُ .

إن المتأمل في آيات السياق القصصي للأنبياء في سورتهم؛ التي بدئت بقصة موسى وأخيه هارون-عليهما الصلاة والسلام-، إلى قصة يونس-عليه الصلاة والسلام- التي ورد فيها الفعل (نقدر)، وما تلا قصته، من ذكر لقصة زكريا-عليه الصلاة والسلام-، وكذا قصة مريم، يجد أفعالاً بنون المتكلم، تتفق مع قراءة الجمهور، وأخرى يقدر فيها ضمير الغائب (هو)، تتفق مع قراءة يعقوب، فلكل من القراءتين سياقها، وتتفق القراءتان (المتكلم، الغائب) في المعنى، الذي أشير إليه سابقاً. (الأنبياء، الآيات (48-91)).

**ثالثها:** الفعل المضارع (نري) من قوله تعالى: **وَنُرِيهِمْ قَرْعُونَ وَهُمْ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْقَوْلِ فَرَفَعْنَا صُرُوفَهُمْ لِيَفْقَهُوا قَوْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا وَلِيَحْمِلُوا إِنْجِيلَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا إِتْرَافِيَّةً أَعْمَى** [6]، فقرأه حمزة والكسائي وخلف، بياء الغيب المفتوحة وفتح الراء وألف بعدها (يرى)، ورفع الأسماء الثلاثة (فرعون وهامان وجنودهما)، وقرأ الباقون بنون مضمومة وكسر الراء وياء مفتوحة بعدها (نري)، ونصب الأسماء الثلاثة .

إن قراءة النصب لجمهور القراء تفيد أن الفعل عليهم، فهم مفعولون، لا فاعلون، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (نحن)، الدال على المتكلم المعظم نفسه سبحانه وتعالى، وعلى قراءة الرفع- وهي قراءة الكوفيين عدا عاصماً- تفيد أنهم فاعلون لا مفعولون. لكن ما علاقة القراءتين بالسياق القبلي، أو البعدي؟

إن قراءة النصب ترتبط سياقياً مع الأفعال لمبدوءة بنون المتكلم، وهذه الأفعال هي: (نتلوا، نريد، نمن، ونجعلهم في موضعها، ونمكن). يقول ابن خالويه عن بيان حجة كل قراءة من القراءتين: "فالحجة لمن قرأه بالنون والنصب أنه رده على قوله تعالى: ونريد أن نمن وأن نري، فأتى بالكلام على سنن واحد، ونصب فرعون ومن بعده بتعدي الفعل إليهم، والله هو الفاعل بهم عز وجل؛ لأنه بذلك أخبر عن نفسه. والحجة لمن قرأه بالياء أنه استأنف الفعل بالواو، ودل بالياء على الإخبار عن فرعون، ونسب الفعل إليه فرفعه، وعطف من بعده بالواو عليه" [56].

ويقول أبو علي الفارسي: "حجة (نري) أن ما قبله للمتكلم، فينبغي أن يكون ما بعده أيضاً كذلك، ليكون الكلام على وجه واحد؛ لأن فرعون يرى ذلك. وحجة (يرى) أن فرعون وحزبه يرون ذلك، ويعلم أنهم يرونه إذا أروه. وهي فيما زعموا قراءة الأعمش . ويذكر مكي حُسن قراءة النون؛ لأنها "على الإخبار عن الله تعالى ذكره عن نفسه؛ لأن قبله إخباراً عن الله جل ذكره وعز في قوله: **نَتْلُوا عَلَيْكَ** [القصص: 3]، فهم أروه، وإذا أروه رأوه. فالقراءتان ترجعان إلى معنى .

وعبّر القرطبي عن قراءة النون أنها تقع مع الفعل المباشر قبلها (ونمكن) على نسق الكلام، بمعنى الاتصال في الخطاب بين الفعلين .

إن ابن خالويه وأبا علي الفارسي ومكيا والقرطبي أشاروا جميعاً إلى قراءة النون بألفاظٍ سياقية؛ فالقراءة جاءت على سنن واحد، ووجه واحد، ونسق واحد.

**رابعها:** الأفعال المضارعة (نشأ، نحسف، نسقط) من قوله تعالى: **إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِنَّ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ**

عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ [سبأ: 9]، قرأ حمزة والكسائي وخلف بياء الغيب في الأفعال الثلاثة، وقرأ الباقون بالنون فيها . لقد اختلف المخبر في القراءتين عند ابن خالويه؛ فقال: " والحجة لمن قرأ بالنون أنه جعله من إخبار الله تعالى عن ذاته، والحجة لمن قرأ بالياء أنه جعله من إخبار النبي- صلى الله عليه وسلم- عن ربه عز وجل . ويحمل أبو علي الفارسي كل قراءة من القراءتين على ما يشابهها من ذات السياق، فيقول: "حجة النون قوله: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا [سبأ: 10]، فالنون أشبه بآتيننا. وحجة الياء قوله: أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا [سبأ: 8]، فالياء على الحمل على اسم الله" ويتفق مع القيسي والبيضاوي في حمل التوافق بين قراءة النون وما جاء في السياق البعدي [57].

### المطلب الثالث: الانتقال الخطابي من الغائب إلى المتكلم

وما يدل عليه السياق في توجيه القراءات في ظل انتقال الخطاب الفعلي تنوع الخطاب القرآني من الغائب إلى المتكلم؛ وذلك بأن يكون الخطاب من الغيبة على قراءة، وينتقل هذا الخطاب ليكون للمتكلم على قراءة أخرى. ولهذا النوع من الانتقال الخطابي في القرآن الكريم أمثلة كثيرة، وهذه نماذج أربعة لهذا الانتقال الخطابي:

**أولاهما:** الفعل الماضي (وضعت) من قوله تعالى: فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ [آل عمران: 36]، فقرأه ابن عامر وشعبة ويعقوب بسكون العين وضم التاء على التكلم، وقرأه الباقون بفتح العين، وسكون التاء، على الغيبة . فما الفرق بين معنى القراءتين؟ وما دلالة السياق عليهما؟ يقول أبو علي الفارسي: " من قرأ: (والله أعلم بما وضعت)، جعله من كلام أم مريم، وإسكان التاء أجود في قوله: وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ؛ لأنها قد قالت: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ، فليست تحتاج بعد هذا أن تقول: (والله أعلم بما وضعت). ووجهه أنه كقول لقائل في الشيء ربِّ قد كان كذا وكذا. وأنت أعلم، ليس يريد إعلام الله سبحانه بذلك، ولكنه كالتسبيح والخضوع والاستسلام له، وليس يريد بذلك إخباراً. ومن قرأ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ جعل ذلك من قول الله تعالى، والمعنى أن الله- سبحانه- قد علم ما قالت، قالت هي، أو لم تقله. ومما يقوي قول من أسكن التاء، قوله: وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ولو كان من قول أم مريم لكان وأنت أعلم بما وضعت؛ لأنها تخاطب الله سبحانه .

ويظهر أثر اختلاف القراءتين في الوقف والابتداء؛ فما يمكن الوقوف عليه في قراءة، لا يمكن الوقوف عليه في القراءة الأخرى؛ ففي قوله تعالى: وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ، من قرأ بضم التاء وإسكان العين (وضعت)، لا يصح له البدء بقوله: وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ؛ لأنه من كلام أم مريم، ومن فتح العين وأسكن التاء، ابتداءً به؛ لأنه ليس من كلام أم مريم، مثله من كسر التاء وأسكن العين، وهي قراءة تروى عن ابن عباس [58].

ولابن عطية لفتنة مهمة، أوضح من خلالها سبب تقديم الذكر على الأنثى، فقال: " وبدأت بذكر الأهم في

نفسها، وإلا فسياق قصتها يقتضي أن تقول: وليست الأنثى كالذكر، فتضع حرف النفي مع الشيء الذي عندها، وانتفت عنه صفات الكمال للغرض المراد .

ويبين الألوسي نوع الجملة التي جاء فيها الفعل (وضعت)، فيقول: " ليس المراد الرد عليها في إخبارها بما هو سبحانه أعلم به، كما يتراءى من السياق، بل الجملة اعتراضية، سيقنت لتعظيم المولود الذي وضعته، وتفخيم شأنه، والتجهيل بما بقدره، أي: والله أعلم بالشيء الذي وضعته، وما علق به من عظام الأمور، ودقائق الأسرار، وواضح الآيات، وهي غافلة عن ذلك كله." (الألوسي 1995م).

ثانيهما: الفعل المضارع (يُعَلِّمُهُ) من قوله تعالى: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ [آل عمران: 48]، فقرأه نافع وعاصم وأبو جعفر ويعقوب بالياء، وقرأه الباقون بالنون .

يبين ابن خالويه على من تعود قراءتي المتكلم والغائب في سياق الآي القبلي والبعدي، فيقول: " فالحجة لمن قرأه بالنون أنه جعله من إخبار الله تعالى عن نفسه عاطفاً به على قوله: نُوحِيهِ إِلَيْكَ [آل عمران: 44]، فإن قيل: فالنون إخبار عن الجماعة، فقل: هذه النون لا يخبر بها عن نفسه إلا ذوو الممالك والأتباع، لأن من تحويه يده، لا يخرج عن أمره، فكان إخباره بالنون عن نفسه وعنهم. والحجة لمن قرأه بالياء أنه من إخبار الملك عن الله عز وجل بما يفعله به عاطفاً على قوله: قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ [آل عمران: 47] . ويجعل أبو علي الفارسي قراءة الغيب معطوفة سياقياً على قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُك [آل عمران: 45]، وقراءة المتكلم، فهو على هذا المعنى، إلا أنه جعله على نحو: (نحن قدرنا بينكم الموت) الواقعة: 60 .

ثالثها: الفعل (يشاء) من قوله تعالى: يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ [يوسف: 56]، قرأه بالنون ابن كثير (نشأ)، وقرأ الباقون بالياء . يقول ابن خالويه موجهاً القراءتين: "حجة من قرأ بالياء أنه جعل الفعل لله تعالى، ومن قرأ بالنون جعل الفعل ليوسف " .

ويذكر مكي في الهداية دلالتين معجمتين مختلفتين للقراءتين، فيقول: "أي يتخذ منزلاً أين شاء بعد الضيق والحبس. ومن قرأ بالنون فمعناه: يصرفه في الأرض حيث نشأ". ويقول مكي في الكشف: "فحمل (نشأ) عن الإخبار من الله-جل ذكره- عن نفسه أولى لتطابق الكلام" (القيسي)، لكن مكيّاً اختار قراءة الغيب؛ لأن أكثر القراء عليه.

ويؤيد قراءة ابن كثير بالنون أمران؛ الأول: جعل المشيئة لله تعالى، وإن كان الفعل (يتبوا) خاصاً بيوسف- عليه الصلاة والسلام-؛ ذلك أن مشيئات العباد لا يكون لها التحقق إلا بعد مشيئة الله، وعلى وفقها، يقول الله تعالى: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [الإنسان: 30].

والثاني: أن الفعل (نشأ) على قراءة ابن كثير يؤيدها السياقين القبلي في قوله تعالى: وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ [يوسف: 56]، والبعدي في قوله تعالى: نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ [يوسف: 56]،

وقوله تعالى: وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [يوسف: 56].  
رابعها: الفعلان (تقبل) و(تجاوز) من قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ  
عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ [الأحقاف: 16]، قرأها حفص وحمة والكسائي وخلف بالنون، ونصب  
نون أحسن، وقرأها الباقون بالياء المضمومة، ورفع نون (أحسن) .  
يقول أبو منصور الأزهري: "من قرأ (أحسن) لوقوع الفعل عليه. ومن قرأ (يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ... وَيُتَجَاوَزُ) رفع  
(أحسن)؛ لأنه مفعول لم يُسَمَّ فاعله .

وتتساوى قراءة البناء للمفعول مع البناء للفاعل عند أبي علي الفارسي؛ وقد أوضح حجج التساوي بين  
قراءة البناء للفاعل والبناء للمفعول من سياق آي القرآن الكريم، بما يتطابق مع الفعل (يتقبل) المبني  
للفاعل، أو بفعل آخر (يُعْفَر) المبني للمفعول. فقال: "لأن الفاعل معلوم أنه الله عز وجل، كما جاء في  
قوله تعالى: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [المائدة: 27]، وَتَقَبَّلَ دُعَاءَ [إبراهيم: 40]، ونحو هذا الفعل  
الذي هو لله سبحانه، ولم يكن لغيره، كان بناؤه للمفعول في العلم بالفاعل كبنائه للفاعل، كقوله: إِنْ  
يَنْتَهُوا يُعْفَرُوا لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ [الأنفال: 38]، والفعل معلوم أنه لله سبحانه وإن بني للمفعول، ألا ترى أنه  
قد جاء في الأخرى وَمَنْ يُعْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ [آل عمران: 135]، فَيُعْفِرُ، وَيَغْفِرُ فِي هَذَا، يفهم من  
كل واحد منهما ما يفهم من الآخر، وعلى هذا جاء قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ  
الْآخَرِ [المائدة: 27] ، ثم جاء إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وكذلك يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ [59]. وحجة من  
قال: (تقبل) و(تجاوز) بالنون أنه قد تقدم الكلام وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ [الأحقاف: 15]، وكلاهما حسن،  
ألا ترى أنه قد قال: فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ [المائدة: 27]، قال: قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ  
مِنَ الْمُتَّقِينَ [المائدة: 27]."(الفارسي 1984م).

لقد كان الفارسي يبين السياق الكلي للقرآن؛ فيستشهد للقراءة بسياقها الكلي، حتى أنه ذكر أن القرآن  
كله سورة واحدة؛ يعني في اتصاله وإيضاحه، وتفسير سياقاته بعضها بعضاً .  
ويرى مكى أن القراءتين الفاعل فيهما هو الله تعالى، سواء أخبر عن نفسه، كما في قراءة النون؛ لسبقها  
بأفعال دالة على التكلم ك(وصينا)، أو قرئ الفعل بالبناء للمفعول. واختار قراءة الغيب؛ لأن الأكثر  
عليها .

#### المطلب الرابع: الانتقال الخطابي من المتكلم إلى المخاطب

ومما يدل عليه السياق في توجيه القراءات في ظل انتقال الخطاب الفعلي تنوع الخطاب من المتكلم إلى  
المخاطب؛ وذلك بأن يكون الخطاب من المتكلم على قراءة، وينتقل هذا الخطاب ليكون للمخاطب على  
قراءة أخرى. ولهذا النوع من الانتقال الخطابي في القرآن الكريم أمثلة كثيرة، وهذه نماذج ثلاثة لهذا الانتقال  
الخطابي:

**أولاهها:** الفعل المضارع (اعلم) من قوله تعالى: قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: 259]، فقرأه القراء سوى حمزة والكسائي بقطع الهمزة في الحالين ورفع الميم، وقرأه حمزة والكسائي بوصل الهمزة وجزم الميم على الأمر، وإذا ابتداء كسرا همزة الوصل. يبين ابن خالويه حجة قراءة التكلم والخطاب؛ فيجعل حجة قراءة التكلم من إخبار المتكلم عن نفسه. وحجة قراءة الخطاب: من أمر الله تعالى للمخاطب.

ويوضح الفارسي علل قراءة التكلم والخطاب بما يظهر من سياق الآية، فيقول: "أما من قرأه على لفظ الخبر، فإنه لما شاهد ما شاهد من إحياء الله وبعثه إياه بعد وفاته، أخبر عما تبينه وتيقنه مما لم يكن تبينه هذا التبيين الذي لا يجوز أن يعترض عليه فيه إشكال، ولا يخطر على باله شبهة ولا ارتياب، فقال: قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أي: أعلم هذا الضرب من العلم الذي لم أكن علمته قبل. ومن قال: (اعلم) على لفظ الأمر، فالمعنى يؤول إلى الخبر، وذلك أنه لما تبين له ما تبين من الوجه الذي ليس لشبهة عليه منه طريق، نزل نفسه منزلة غيره، فخاطبها كما يخاطب سواها، فقال: أعلم أن الله كل شيء قدير، وهذا مما تفعله العرب، ينزل أحدهم نفسه منزلة الأعجمي فيخاطبها كما تخاطبها [60].

ويستبعد مكي أن يكون الأمر من الله تعالى له بالعلم؛ لأنه قد أظهر إليه قدرة، وأراه أمراً تيقن صحته، وأقر بالقدرة، فلا معنى لأن يأمره الله بعلم ذلك، بل هو يأمر نفسه بذلك، وهو جائز حسن، فيظهر من توجيه القراءتين أن كلا القراءتين متوافقتان مع السياق، سواء أكان السياق واضحاً من خلال الخطاب في الآية، أو من خلال الإفادة من كلام العرب، وهو سياق خارجي، يزيد المعنى وضوحاً وبيانياً.

**ثانيها:** الفعلان المضارعان (لنبينه) و(لنقولن) من قوله تعالى: قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّنَنَّهٗ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهٖ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ [النمل: 49]، قرأها حمزة والكسائي وخلف والأعمش بتاء الخطاب وضم التاء (لنبينه) وبالتاء وضم التاء (لنقولن)، وقرأها الباكون بنون المتكلم وفتح التاء (لنبينه)، وبنون المتكلم وفتح اللام (لنقولن). (النيسابوري، الواسطي، ابن الجزري). واختار أبو حاتم قراءة النون، وهي قراءة عامة القراء، واختار أبو عبيد قراءة حمزة والكسائي وخلف.

وجّه الزجاج القراءات في هذين الفعلين، فقال: "فمن قرأ بالنون فكأنهم قالوا احلفوا لنبينه وأهله، ومن قرأ بالتاء فكأنهم قالوا احلفوا بالله لنبينه، فكأنه أخرج نفسه في اللفظ. والنون أجود في القراءة، ويجوز أن يكون قد أدخل نفسه في التاء؛ لأنه إذا قال تقاسموا، فقد قال تحالفوا ولا يُخرج نفسه من التحالف، ومن قرأ قالوا تقاسموا بالله لبيئته، فالمعنى: قالوا لبيئته متقاسمين، فمن قرأ بالنون فكأنهم قالوا احلفوا لبيئته وأهله، ومن قرأ بالتاء فكأنهم قالوا: احلفوا بالله لبيئته، فكأنه أخرج نفسه في اللفظ.

والنون أجود في القراءة، ويجوز أن يكون قد أدخل نفسه في التاء؛ لأنه إذا قال: تقاسموا، فقد قال تحالفوا ولا يُخرج نفسه من التحالف، ومن قرأ: قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّنَنَّهٗ [النمل: 49]، فالمعنى: قالوا لبيئته

متقاسمين . ويبين ابن خالويه دلالة قراءة الخطاب فيقول: "فالحجة لمن قرأه بالتاء أنه أراد به كأن مخاطباً خاطبهم فقال تحالفوا من القسم لتبينه، ثم لتقولن، فأتى بالتاء دلالة على الخطاب، وأسقطت نون التوكيد، وواو الجمع، لالتقاء الساكنين" [61].

وتختلف دلالة الأفعال على القراءات الثلاث التي أشار إليها الزجاج سابقاً؛ وهي قراءة النون والتاء والياء. فيرى أبو علي الفارسي أن قراءة النون تفيد الأمر، وجملة (لتبينه) جواب الأمر، وهي جملة (تقاسموا)، وأدخل المتكلمون أنفسهم مع المتقاسمين. وقراءة التاء أفادت معنى ليقسم بعضكم لبعض لتبينه، فتقاسموا على هذا الأمر. وقراءة الياء جاءت على الماضي، ولا يكون معها القول إلا بالغيب أيضاً . ومن حيث التوافق والترابط في السياق فإن قراءة النون يجيء السياق البعدي، وهو قوله تعالى: مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ [النمل: 49]، متوافقاً ومنسجماً مع القراءة .

**ثالثها:** الاختلاف في حركة الفعل الماضي (عجبت) بين الفتح على الخطاب، والضم على التكلم، وذلك من قوله تعالى: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ [الصافات: 12]، فقرأها حمزة والكسائي وخلف بالضم، وقرأها الباقون بالفتح .

لقد نقد الفراء إنكار قوم لقراءة تاء المتكلم معتمداً في نقده على سياق المعنى، وسياق النص المشابه لقراءة التكلم، فقال: "العجب وإن أسند إلى الله، فليس معناه من الله كمعناه من العباد، ألا ترى أنه قال: فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ [التوبة: 79] ، وليس السخري من الله كمعناه من العباد، وكذلك قوله: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [البقرة: 15]، ليس ذلك من الله كمعناه من العباد" .

وذهب الزجاج مذهب الفراء في نقد من ردوا قراءة التكلم فقال: "وقد أنكروا هذه القراءة. (الثعلبي)، وقالوا الله -عز وجل- لا يعجب، وإنكارهم هذا غلط؛ لأن القراءة والرواية كثيرة، والعجب من الله -عز وجل- خلافة من الآدميين كما قال تعالى: وَيَمْكُرُ اللَّهُ [الأنفال: 30] سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ [التوبة: 79]، وَهُوَ خٰدِعُهُمْ [النساء: 142]، والمكر من الله والخداع خلافة من الآدميين.

وأصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقبل مثله، قال: عجبته من كذا وكذا، إذا فعل الآدميون ما ينكره الله جاز أن يقول فيه: عجبته والله قد علم كل شيء قبل كونه، ولكن الإنكار إنما يقع والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشيء" .

ويدل السياق القبلي في قوله تعالى: فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمَ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا [الصافات: 11]، على توافق الخطاب في (فاستفتهم) مع الخطاب في (عجبت).

والقراءتان متقاربتا المعنى عند الطبري، فبأيهما قرأ القارئ فقد أصاب. لكن الطبري يضع تساؤلاً من سائلٍ محتملٍ، فيقول: "فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنيهما؟ قيل: إنهما وإن اختلف معنيهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه

أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه . إن العجب الذي يُفهم من قراءة التكلم، هو إنكار الله لأفعالهم؛ " من إنكارهم البعث، وسخرياتهم من القرآن، وازدراؤهم بالرسول جرأة على الله وتمرداً وعدواناً وتكبراً، فهذا العجب من الله-عز وجل- والفرق بينه وبين عجب المخلوقين أن المخلوق لا يعجل إلا عند نظره إلى ما لم يكن في علمه، ولا جرت العادة بمثله، فبهه ما رأى من ذلك فيتعجب من ذلك " [62].

وقراءة التكلم تأولها بعضهم برد الإعجاب إلى الله، وأنكرها آخرون؛ لأن العجب متقرر لكل من بلغه إنكار المشركين للبعث من المقربين بالبعث، وعلى ذلك أتى قوله تعالى: وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ [الرعد: 5]، وفي الاستشهاد بآية سورة الرعد سألقة الذكر، التي تُظهر أن قراءة تاء المتكلم تقع مع هذه الآية في سياق المعنى نفسه؛ إذ يفيد معناها، كما يُروى عن قتادة: " إن عجبت يا محمد فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ أَذًا كُنَّا تُرْبًا أَيْنًا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ [الرعد: 5] عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت [63].

وقراءة الخطاب يكون الخطاب فيها للنبي-صلى الله عليه وسلم- ومعناه: بل عجبت يا رسول الله من وحي الله إليك، وهم يسخرون". يقول ابن فورك في تفسيره عن قراءة الخطاب: (بل عجبت) من جهلهم (ويسخرون) من حقل، وهذا ذمٌ لهم، ومدحٌ للنبي-صلى الله عليه وسلم- كما قيل: لا خير فيمن لا يتعجب من العجب، وأرذل منه من يتعجب من غير عجب " .

### جدول 1. ملخص الدراسة

العنصر	التفاصيل
الهدف	استكشاف دور السياق في توجيه القراءات القرآنية، مع تحليل انتقال الخطاب الفعلي وربط الأفعال بسياقها القبلي والبعدي.
الإطار النظري	يعتمد على علم التأويل (الهرمنيوطيقا) ونهج التفسير السياقي، الذي يؤكد على أهمية السياق اللغوي والتاريخي في فهم القرآن الكريم.
الدراسات السابقة	مراجعة الدراسات حول التفسير السياقي للقراءات القرآنية، مع إبراز إسهامات العلماء القدامى والمحدثين في هذا المجال.
المنهج	المنهج الوصفي التحليلي السياقي، مع تحليل أنواع انتقال الخطاب الفعلي في توجيه القراءات القرآنية وتقديم أمثلة توضيحية.
النتائج	يتضح أن موجهي القراءات يختارون الوجه الراجح وفقاً للسياق، الذي ينقسم إلى سياق لغوي داخلي وسياق مقامي خارجي، وكلاهما يلعب دوراً أساسياً في التوجيه.

## الخاتمة

وبعد دراسة نماذج من القراءات القرآنية التي تبين فيها دلالة السياق في توجيه القراءات في ظل انتقال الخطاب الفعلي، اتضح النتائج الآتية: أولاً: إن الانتقال الخطابي تمثل في الفعلين المضارع والماضي، وقلة في فعل الأمر. ثانياً: تتحدد دلالة السياق في توجيه القراءات في ظل انتقال الخطاب الفعلي من خلال رؤية شاملة لتفسير الآيات، وفهم سياقتها التفسيرية؛ ذلك أن التفسير والقراءات علمان يؤديان فهماً واضحاً للنص القرآني. ثالثاً: إن كل مظاهر الانتقال الخطابي في القراءات القرآنية تعبر عن ارتباطها بسياق الآي والمقاطع والسور والنص القرآني كله؛ وأن القرآن كله بالنظر السياقي كأنه سورة واحدة. رابعاً: إن موجهي القراءات القرآنية يُقدِّمون في اختيارهم للوجه الراجح في التوجيه ما كان متسقاً مع السياق؛ فهو عندهم أولى بالاختيار من غيره؛ إذ السياق سياقان؛ لغوي داخلي، وخارجي مقامي، وكلاهما يستوعل توجيه القراءات استيعاباً كاملاً. خامساً: مما يعاضد سياق الحال أن يحدد المخاطب؛ كي يستقيم توجيه واختيار القراءة، بما يلائم تفسير الآية وسبب نزولها، وإن حدث تعدد بين مفسري القرآن في تعيين المخاطب، فيأتي أثر السياق ودوره في اختيار القول الأرجح الذي يتناسب مع المعنى والسياق. سادساً: إن فهم المقصود من الخطاب أعان النحويين في تحديد الوجه النحوي؛ ذلك أنَّ الكلام لا يفهم فهماً صحيحاً إلا بعد معرفة أسلوب التواصل بين المخاطب والمخاطب؛ من حيث علم المخاطب بما يخاطبه به المخاطب؛ إذ لا يستقيم إخباره بأمر منكور، أو أمر يجهله، أو يلتبس عليه فهمه وتحديده، ولذلك اشترط النحويون في التقديم والتأخير الأمن من اللبس، ويقصدون به أن يكون معلوماً—مثلاً—الفاعل من المفعول لدى المخاطب. سابعاً: إن فهم معهود كلام العرب في خطابهم وأساليبهم اللغوية المختلفة خير معين لفهم السياق القرآني.

## الشكر والتقدير

لن تكتمل هذه الدراسة دون دعم وإرشاد العديد من الأطراف. يود المؤلف أن يشكر الفريق من Faculty of Usuluddin, Universiti Islam Sultan Sharif Ali, Brunei Darussalam الذي قدم توجيهاً ونصيحة قيّمة خلال هذه الدراسة.

## مساهم المؤلف

يساهم المؤلف بشكل متساوٍ في نشر هذه الورقة، قرأ المؤلف الورقة ووافق عليها، ويعلن المؤلف عدم وجود أي تعارض في المصالح.

## تعارض المصالح

يعلن المؤلف عدم وجود أي تعارض في المصالح

## المراجع

- [1] دار الكتب العلمية، Dar Al Kotob Al Ilmiyah 2016. أ. ع. ب. سعيد/الداني، كتاب التيسير في القراءات السبع
- [2] جمعية المعارف المصرية، vol. 5. 1863. ا. ا. ع. ب. محمد، اسد الغابة في معرفة الصحابة
- [3] M. H. Abdalla, "Phenomenon of facilitation of pronunciation in the ten readings (descriptive studies)," *Bull. Fac. Islam. Arab. Stud. Girls Alexandria*, vol. 39, no. 1, pp. 649–696, 2023.
- [4] دار الكتب العلمية، Dar Al Kotob Al Ilmiyah 2019. ش. ا. ا. ب. ع. ا. ا. الحموي، القواعد والإشارات في أصول القراءات
- [5] دار الكتب العلمية، Dar Al Kotob Al Ilmiyah. م. ب. ا. أ. الجود/الأنصاري، وصلة البداية لمقدمة النهاية في علم الرواية 2019.
- [6] T. N. Roman, "القراءات القرآنية وتوجيهها في كتابي أبي عليّ القالي: البارع في اللغة والمقصود والممدود جمعًا ودراسة،" *Qur'anic Recitations and their guidance in the Abu Ali Al-Qali's two books 'Al-Bari' fi al-lugha', and 'Al-Maqsur wa al-mamdud' Collecting and studying*, vol. 2024, no. 6, 1945.
- [7] Rufoof, 2007. ا. خالويه، الحجة في القراءات السبع
- [8] ب. غنية، "النقد التأثري ودوره في تحديد المصطلح النقدي عند ابن رشيق المسيلي،" 2008، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم اللغة العربية
- [9] "ع. ا. ع. ا. ع. الشاوي،" أثر الذوق في توجيه الحكم النقدي-ابن رشيق القيرواني أنموذجاً in *Mudalla: Proceeding International Conference On Arabic Language*, 2021, pp. 1571–1589.
- [10] دار الكتب العلمية، Dar Al Kotob Al Ilmiyah. م. م. ا. الدكتور، المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني 2014.
- [11] ناصر، "الخصائص الشكلية للغزليات العربية والفارسية: دراسة مقارنة إحصائية،" and ف. كمال، ق. مقل، ع. أصغر، زارع ناصر، vol. 13, no. 36, pp. 113–140, 2023. دراسات في اللغة العربية وآدابها
- [12] ب. ع. ا. سهام، "شعر ابن عمّار الأندلسي،" 2009، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم اللغة العربية
- [13] M. M. Çavuş, "بطرُق فهم النصّ الأدبي وعوائفها،" *İslami İlimler Derg.*, vol. 18, no. 1, pp. 282–296, 2023, <https://doi.org/10.34082/islamiilimler.1264761>.
- [14] "موقف العلماء من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف،" *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية* vol. 3, no. 6, pp. 387–398, 2022, <https://doi.org/10.53796/hnsj3624>.
- [15] ن. أ. إسماعيل، "من ملامح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من خلال تحقيق ودراسة الآية (48) من سورة النمل and ح. حمود من حاشية سعدي أفندي على تفسير البيضاوي أنموذجاً،" *مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية* vol. 40, no. 1, pp. 795–894, 2024, <https://doi.org/10.21608/bfda.2024.348270>.
- [16] Abu Bakr Mohammed bin Yahya Al-khaffaf and his views on Arabic Grammar, vol. 2021, no. 10, 1943. "أبو بكر محمد بن يحيى الخفاف وآراؤه النحوية
- [17] عبود، "الترجيح النحوي في مسائل متعلقة بالعطف،" *دراسات في اللغة العربية وآدابها* and عوض، سامي، vol. 5, no. 20, pp. 71–96, 2015.
- [18] دار الكتب العلمية، Dar Al Kotob Al Ilmiyah 2012. أ. ب. م. ب. الطيب/الباقلائي، التقريب والإرشاد في أصول الفقه
- [19] م. ا. ل. ا. و. الاجتماعية، "الأثار الإيمانية والتربوية للألفاظ الاهتزازية في القرآن: د/بندر مقل محسن المعمرى،" *مجلة الأنذلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية* vol. 10, no. 67, 2023.
- [20] دار الكتب العلمية، Dar Al Kotob Al Ilmiyah 2014. م. ب. ا. أ. م. ا. الزبيدي، شرح كتاب قواعد العقائد من كتاب إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين
- [21] F. Sezgin, *Tārīkh al-turāth al-'Arabī*, vol. 1. al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah, Wizārat al-Ta'līm al-'Ālī, Jāmi'at al ..., 1900.
- [22] M. B. I. Al-Aomir, "صيغة (مفعال) في الحديث الشريف دراسة صرفية دلالية،" *Arts Linguist. Lit. Stud.*, no. 15, pp. 43–72, 2022, <https://doi.org/10.53286/arts.v1i15.883>.
- [23] دار الكتب العلمية، Dar Al Kotob Al Ilmiyah 2004. أ. ع. ا. م. ب. بهادر/الزركشي، النكت على مقدمة ابن الصلاح
- [24] C. BEHNAS, "الإعجاز البلاغي للتقديم والتأخير في القرآن الكريم،" *J. Hum. Sci.*, pp. 381–404, 2020, <https://doi.org/10.34174/0079-021-001-023>.
- [25] "س. أ. رمضان،" ظهور الإلحاد وتطوره في ضوء القرآن الكريم and ز. ا. حمد، *J. Univ. Raparin*, vol. 6, no. 1, pp. 218–248, 2019, [https://doi.org/10.26750/vol\(6\).no\(1\).paper13](https://doi.org/10.26750/vol(6).no(1).paper13).

- [26] I. Y. Hassan, "Ambush and Meteorology in the Noble Qur'an: A grammatical semantic study," *J. Univ. Raparin*, vol. 10, no. 3, pp. 26-44, 2023, [https://doi.org/10.26750/Vol\(10\).No\(3\).Paper2](https://doi.org/10.26750/Vol(10).No(3).Paper2).
- [27] Al-Adab "م. ف. توفيق،" الدلالة الوظيفية للمفردة القرآنية متعددة الصيغ بين الثبات والتعدد دراسة تطبيقية في القراءات القرآنية *J.*, no. 122, pp. 83-114, 2017, <https://doi.org/10.31973/aj.v1i122.206>.
- [28] م. ا. ل. ا. و. الاجتماعية، "التناسق الموضوعي في سورتي الطلاق والتحريم: د. محمد عبد الرحمن محمد عودات،" *مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية*, vol. 5, no. 20, 2018.
- [29] م. ا. ل. ا. و. الاجتماعية، "القوامة بين التسلط والرعاية دراسة فقهية دراسة استقرائية تحليلية: الدكتور عادل صالح الفقيه (1)،" *مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية*, vol. 7, no. 34, 2020.
- [30] K. I. Hodeib, "The Answer Letters In The Holy Quran And Their Relationship To The Question Letters," *Anbar Univ. J. Lang. Lit.*, vol. 14, no. 2, pp. 527-551, 2022, <https://doi.org/10.37654/aujll.2022.176370>.
- [31] د. ه. ب. ح. الشمري، "توجيه القراءات في تفسير الصراط المستقيم في تبيان القرآن الكريم للإمام الكازروني (ت923هـ)،" *مجلة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية*, vol. 11, no. 44, pp. 1-40, 2024.
- [32] ش. إ. محمد، "المثل وأثره في التعويد النحوي عند المُبرِّد (ت285هـ) في كتابه المقتضب،" *مجلة كلية الدراسات والبحوث الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية*, vol. 37, no. 1, pp. 511-602, 2021, <https://doi.org/10.21608/bfda.2021.239565>.
- [33] "ب. ب. زيان،" *Université d'Oran I-Ahmed Ben Bella*. "الخطاب القرآني دراسة في قضايا الإعجاز عند المفسرين and عقاب Bella.
- [34] عزمي، "الأبنية الصرفية للقراءات القرآنية في كتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي-الأفعال and (ع. ا. عرفة)،" *مجلة عين شمس*, vol. 45, no. 14, pp. 110-146, 2017, <https://doi.org/10.21608/aafu.2017.176294>.
- [35] Grammatical interpretation of المعبدي، "التأويل النحوي عند الباقلوي في كتابه: كشف المشكلات وإيضاح المعضلات Al-Baqouli In his book: Kashf al-Mushkil? t wa? d? h al-Mu?? il? t," *مجلة اللغة العربية وآدابها*, vol. 2021, no. 12, 1943, <https://doi.org/10.36046/2356-000-003-014>.
- [36] د. ح. ب. إ. ب. م. قباور، "توافق القراءات القرآنية وأثره في الترجيح الإعرابي لدى الألويسي (ت1270هـ) في كتابه J. F. F. The Agreement Between the Qur'anic Readings and Its Impact on Linguistic Weighting According to Al-? l? s?(d. 1270 AH) in the Book R?? Al-M?? n?," *مجلة اللغة العربية وآدابها*, vol. 2023, no. 6, 1944.
- [37] Adjective in the name of the sign in the Holy Quran (analytical grammatical study)، "النعته باسم الإشارة في القرآن الكريم (دراسة نحوية تحليلية) and س. عبدالرحمن العبيسي *مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات*, vol. 8, no. 2, pp. 637-710, 2023, <https://doi.org/10.21608/jcia.2023.315584>.
- [38] N. Bint Nasser، "آيات الحج والعمرة للعالم لطف الله التوفاتي المتوفى: (904 هـ/1499م) دراسة وتحقيق،" *مجلة كلية الدراسات والبحوث الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية*, vol. 39, no. 1, pp. 475-538, 2023, <https://doi.org/10.21608/bfda.2024.334617>.
- [39] Dar al Saqi, 2017. د. الساقى، *التفسير التوحيدي and ح. الترابي*.
- [40] س. ب. ع. ب. تركي، "فقه المخاطرة المالية بين التمويل الإسلامي والتمويل الغربي،" *مجلة كلية الدراسات الإسلامية والبحوث الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية*, vol. 34, no. 5, pp. 569-609, 2018.
- [41] ع. ا. ر. ع. الله، "العقود الصورية وصورها المعاصرة دراسة فقهية قانونية مقارنة،" *مجلة كلية الدراسات الإسلامية والبحوث الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية*, vol. 40, no. 3, pp. 1871-1960, 2024, <https://doi.org/10.21608/bfda.2024.348433>.
- [42] I. Mūsá، "الرد على القرضاوي والجديع والعلواني: رد علمي يتضمن قواعد في أصول الفقه والحديث واللغة على عامة كتب وبحوث الدكتور القرضاوي خاصة "عقوبة المرتد" "النقاب"، "الختان"، "دبة المرأة وولايتها"، "فتاوى معاصرة"، "أصول الفقه (No Title)"، "الميسر"، وغيرها الأستاذ عبد الله الجديع في
- [43] W. Zuhaylī، "الفقه الحنفي الميسر: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، الامام الشافعي محمد بن ادريس المطليبي،"
- [44] Al-Maslahah Al-Mursalah (Absolute legitimate Interest) in Ibadi sect and its contemporary applications, Insurance Contract and Copyrights as models: المصلحة المرسله في *Alijithed J. Leg. Econ. Stud.*, vol. 13, no. 2, pp. 333-361, 2024.
- [45] Dar Al Kotob Al ح. ز. اليسوي، *إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين*, vol. 2.

دار الكتب العلمية, 2007.

- [46] M. Elbanna, “Mohamed Metwally Al-Sha’rawi: A Beacon of Modern Islamic Thought and Interpretation in Egypt,” *J. World Thinkers*, vol. 2, no. 1, pp. 139–152, 2024, doi: <https://doi.org/10.61455/jwt.v2i01.247>.
- [47] ا. ن. قادري, “التفسير قبل الإمام الطبري رحمه الله,” *مجلة الدراسات الإسلامية-جامعة كابل* and ا. ن. م. ا. مجاهد, vol. 1, no. 1, pp. 1–24, 2024, <https://doi.org/10.62810/jis.v1i1.30>.
- [48] أ. خ. ن. الدين, *الطبري و آراؤه في النحو من خلال تفسيره* “جامع البيان عن تأويل آي القرآن”, 2005.
- [49] محمد, “الأسطورة في تفسير الطبري,” *مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم* and م. عبد العزيز محمد خليفة, vol. 10, no. 18, pp. 797–824, 2018, <https://doi.org/10.21608/jfafu.2018.62015>.
- [50] حمزة, “الإمام ابن جرير الطبري: سيرته وعقيدته ومنهجه,” *مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة* and ح. أرفيدة, vol. 70, no. 70, p. 1, 2022, <https://doi.org/10.21608/artman.2021.100547.1399>.
- [51] سعد, “المنهجية النقدية في تفسير الطبري وأثرها على المفسرين,” *الفراند في البحوث الإسلامية* and س. سعد مسعود الأحمد, vol. 37, no. 1, pp. 33–74, 2019.
- [52] ع. الله, “ترجيحات الطبري في تفسيره and ه. ع. ا. زغول,” *Bull. Fac. Lang. Transl.*, vol. 1, no. 1, pp. 175–401, 2011, <https://doi.org/10.21608/bflt.2011.166299>.
- [53] ع. ا. ا. الجناي, “الطبري ومكانته العلمية,” *Al-Adab J.*, no. 82, pp. 1–11, 2008, <https://doi.org/10.31973/aj.v0i82.3300>.
- [54] د. ع. ب. ع. ج. ا. ل. والتقنية, “استشراق مستقبل اليمن في ضوء السنة النبوية: 009-014-015-1637/10.35781,” *مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية و الاجتماعية* عثمان, vol. 4, no. 14, pp. 303–334, 2017, <https://doi.org/10.35781/1637-015-014-009>.
- [55] M. Keskin, “التشبيه التمثيلي ومظاهره في الحديث النبوي: صحيح مسلم نموذجاً,” *Eskişehir Osmangazi Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Derg.*, vol. 11, no. 2, pp. 905–921, 2024, <https://doi.org/10.51702/esoguifd.1466870>.
- [56] M. Sidki, N. Tchernev, P. Féniès, L. Ren, and S. Elfirdoussi, “Multiproduct pipeline scheduling: A comprehensive bibliometric analysis and a systematic literature review,” *Comput. Chem. Eng.*, vol. 192, 2025, <https://doi.org/10.1016/j.compchemeng.2024.108911>.
- [57] J. P. Costello, N. N. Patel, J. A. Chen, M. C. Tandron, B. Goldenberg, and M. G. Baraga, “Tibial tubercle osteotomy (TTO): A review of impactful papers in the literature,” *J. Orthop.*, vol. 60, pp. 89–95, 2025, <https://doi.org/10.1016/j.jor.2024.08.011>.
- [58] M. Ayub, K. Khan, M. Khan, and M. Ismail, “Waqf for accelerating socioeconomic development: a proposed model with focus on Pakistan,” *Qual. Res. Financ. Mark.*, vol. 16, no. 5, pp. 937–961, 2024, <https://doi.org/10.1108/QRFM-07-2023-0161>.
- [59] H. Ibda, A. G. Wijanarko, F. N. Azizah, M. Amnillah, and A. Ro’uf, “Islamic moderation in elementary school: strengthening the Aswaja Annadhliyah curriculum in preventing religious radicalism,” *J. Educ. Learn.*, vol. 18, no. 4, pp. 1246–1253, 2024, <https://doi.org/10.11591/edulearn.v18i4.21821>.
- [60] N. Nurdin, L. Anhusadar, M. Lubis, L. Hadisi, and M. Rijal, “Beyond The Chalkboard: Digital Innovations In Islamic Learning Through Interactive Powerpoint,” *J. Ilm. Peuradeun*, vol. 12, no. 3, pp. 1099–1128, 2024, <https://doi.org/10.26811/peuradeun.v12i3.1637>.
- [61] S. Syarifuddin, A. Tahir, K. Abidin, and F. Syarifuddin, “School and Family Partnerships: Contribution of Transformational Teachers in Implementing the Autonomous Learning Curriculum Educational Institutions in Bone, Indonesia,” *Samarah*, vol. 8, no. 3, pp. 1476–1502, 2024, <https://doi.org/10.22373/sjhc.v8i3.22584>.
- [62] W. Said, S. Nur, S. Wahyuni, and R. Akbar, “Marriage Traditions and Family Resilience in Bugis Bone Society: A Study of Islamic Law and Islamic Education,” *Samarah*, vol. 8, no. 3, pp. 1372–1390, 2024, <https://doi.org/10.22373/sjhc.v8i3.23227>.
- [63] B. S. Al-Mawajdeh, A. F. Alrekebat, A. A. Al-Khattab, H. A. Al-Lawama, and M. H. Talhouni, “The Impact of Using the Hill Climbing Strategy on the Students’ Academic Achievement in the College of Educational Sciences at Al-Hussein Bin Talal University in the Subject of the Prophetic Biography and its Teaching Methods,” *J. Educ. Soc. Res.*, vol. 14, no. 6, pp. 556–568, 2024, <https://doi.org/10.36941/jesr-2024-0193>.